

التنوع البيولوجي: نقاش أكثر من العمل؟

بانسوري تانيجا وإيزابيلا كوزيل (المعهد الدولي للبيئة والتنمية- بريطانيا)

وقعت معاهدة الأمم المتحدة حول التنوع البيولوجي والملزمة قانونيا في العام 1992 خلال مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية، والآن توجد 177 دولة، بالإضافة إلى الاتحاد الأوروبي صادقت على هذه المعاهدة (وتبقى الولايات المتحدة استثناءا جديرا بالذكر). تحتوي معاهدة التنوع البيولوجي على أجندة تمثل تحديا كبيرا، كما أنها ذهبت بعيدا في التأكيد على اهتمامات الدول النامية. ولكن لا نزال ننتظر فيما إذا كان النقاش المستفيض حول معاهدة التنوع البيولوجي سوف يتجسد بالفعل في أعمال ونشاطات متينة أو يتم تأطيره ضمن السياسات وآليات اتخاذ القرار.

ما هو التنوع البيولوجي؟

يقال بأن التنوع هو بهار الحياة، وكم سيكون مملا إذا كان كل يوم يشابه اليوم السابق، وكم سيكون مزعجا أن تتناول نفس النوع من الطعام يوميا. نحن نسمع كلمة "التنوع البيولوجي" كثيرا، ولكننا نادرا ما نفكر في معناها الحقيقي. إن التنوع البيولوجي، بتعريفه الدقيق يعني مجموع التنوع والاختلاف في أشكال الحياة على كوكب الأرض. وهو يعني أيضا تنوع الأنظمة البيئية والجينات والتي تؤدي إلى "الاختلاف" الذي يوفر بدوره الإطار المناسب لتطور الحياة على الأرض. وفي المراكز الحضرية، نشعر أحيانا بأننا أصبحنا "في حالة طلاق" مع التنوع البيولوجي إلا أن الطعام الذي نتناوله والعلاجات التي نتلقاها والحدائق التي نستمتع بها لا يمكن أن تكون موجودة بدون هذا التنوع. وفي الحقيقة، فإن الحياة على الأرض مبنية تماما على التواجد المستمر للتنوع الحيوي.

ومع ذلك فإنه ينظر أحيانا إلى التنوع البيولوجي وكأنه مرادف للموارد البيولوجية، والفقرة التقديمية في الفصل 15 من الأجندة 21 والمخصص للتنوع البيولوجي تستخدم مصطلحي "الموارد البيولوجية والتنوع البيولوجي" بشكل مترادف. ولكن الموارد البيولوجية هي جزء فقط من التنوع البيولوجي لا مرادفا له فالقيم التي تميز كلا منهما مختلفة عن بعضها. وعلى سبيل المثال، فإن الموارد البيولوجية يتم تقييمها عادة من خلال مساهمتها في الدعم الاقتصادي أو الأسواق. وعلى العكس من ذلك فإن الاختلاف والتميز المتعلق بالتنوع البيولوجي يوفر عدة خيارات أمام الناس، حاليا وفي المستقبل. ولهذا فإن القيمة المضافة للتنوع البيولوجي تكمن في "البدائل" التي يتضمنها وهذا يعني أننا بحاجة للتأكد من أن تركيز نشاطات الحماية يجب أن يكون على مجموعة القيم التي يحملها التنوع البيولوجي مثل قدرتنا على تحديد خيارات أو إيجاد بدائل يمكن

الركون إليها. وعلى كل حال، آخذين بعين الاعتبار معرفتنا المحدودة بالتنوع البيولوجي فإن الصعوبات التي نواجهها في توقع الاحتياجات الممكنة في المستقبل وضعف الموارد المتاحة للحماية تجعل هذه المهمة ليست بالسهلة.

يجب أن يتم أيضا التعامل مع التنوع البيولوجي الزراعي كجزء من الأجندة الشاملة للتنوع البيولوجي. وبعد أن كانت قضية مهمشة فإن معاهدة التنوع البيولوجي إتخذت مؤخرا عدة خطوات للتأكد من أن "التنوع البيولوجي الزراعي" لن يبقى مسألة يتم تجاهلها. إن الأنواع الحيوانية والنباتية المدجنة والأنظمة البيئية "المتلاعب بها" التي توفر لها الدعم تحمل نفس مستوى الأهمية لتطور الحياة على الأرض وخاصة تطور الإنسان مثل الأنواع البرية، وبالتالي تستحق اهتماما ماثلا. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الكثير من الأسباب الجوهرية لخسارة التنوع البيولوجي الزراعي هي نفسها التي تواجه التنوع البيولوجي البري.

الآليات الدولية ومدى كفاءتها:

كانت النتيجة الرئيسية لقمة "ريو" فيما يختص بالتنوع البيولوجي هي "معاهدة التنوع البيولوجي" والتي تضمنت ثلاثة أهداف رئيسية هي: "حماية التنوع البيولوجي، والاستخدام المستدام لعناصر التنوع البيولوجي والمشاركة العادلة والمتساوية للمكاسب الناتجة عن استخدام الموارد الوراثية. وقد تم وضع هذه الأهداف بناء على الاعتراف العالمي بأن التنوع البيولوجي يمثل قاعدة الحياة على الأرض، وأنه يوفر العديد من القيم الايكولوجية والاجتماعية مع أنه يتعرض لمخاطر متزايدة من النمو الاقتصادي والفقر.

إن تقييمنا حديثا لكفاءة معاهدة التنوع البيولوجي قامت به سكرتاريا المعاهدة استنتج أن المعاهدة أثبتت بأنها إطار وساحة مناسبة للسياسات وتندرج الخطة المستقبلية على التأكد من تطبيق هذه السياسات. إن الدولة نفسها هي الطرف

المعني مباشرة بتنفيذ معاهدة التنوع البيولوجي بما أن المعاهدة تضمن سيادة الدولة على مواردها البيولوجية. هناك أيضا مجال رئيسي للتركيز على إنجاز تطبيق المعاهدة وهو من خلال تطوير خط العمل الوطنية للتنوع البيولوجي. هذه الخطط يتم تطويرها حاليا في عدة دول حول العالم وهي خطوة متقدمة هامة في سبيل تطبيق المعاهدة. ومع ذلك، فإن التساؤلات حول ضرورة المشاركة الواسعة للناس في تطوير هذه خطط عمل التنوع البيولوجي لم يتم التعامل معها بجدية في العديد من هذه الخطط. وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك شك في أن هذه الخطط ستكون قادرة على إحداث تأثير على قطاعات أخرى وفي أن هناك التزاما حقيقيا نحو توفير الموارد والإرادة السياسية الضرورية للتطبيق الناجح.

لقد كان التطور في تطبيق الهدف الثالث للمعاهدة وهو المشاركة العادلة والمتساوية للمكاسب الناتجة عن استخدام الموارد الوراثية بطيئا في الكثير من الأحيان. لقد تم تأسيس مجموعات من الخبراء حول قضايا هامة مثل الاشتراك في المنافع ودور المجتمعات الأصلية لكنها جميعا بقيت حافلة بالنزاعات كما يبقى أيضا تبادل المعلومات العلمية ونقل التقنية بين الدول.

لقد ساعدت معاهدة التنوع البيولوجي على تطوير فكر التنوع الحيوي المستند على حماية الأنظمة البيئية وكذلك طريقة مواجهة القضايا المعقدة مثل استخدام الكواشف البيولوجية كما كان إقرار بروتوكول السلامة البيولوجية وهو تشريع يعتمد على المبدأ الوقائي يتعامل مع التكنولوجيا البيولوجية وتأثيراتها على التنوع البيولوجي للدول يعتبر أيضا خطوة مهمة للأمام. كما حظيت قضية حقوق المجتمعات الأصلية في حماية الطبيعة بالكثير من الاهتمام في ضوء النقاش حول معاهدة التنوع البيولوجي.

ما الذي يتبقى فعله؟

هناك الكثير من التحديات الكبيرة أمامنا. إن علاقة معاهدة التنوع البيولوجي مع منظمات مثل المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية ومنظمة التجارة العالمية يجب أن تصبح أكثر وضوحا إذا كنا نريد تحقيق تطور أكبر في المشاركة العادلة والمتساوية للمكاسب الناتجة عن استخدام الموارد الوراثية. أما فيما يتعلق بالتنوع البيولوجي الزراعي فإن على المعاهدة

أن تقوي أيضا علاقاتها مع منظمة التجارة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة أكبر مما هي عليه الآن. وبالنسبة للتنوع البيولوجي البري فهناك الكثير من المعاهدات الأخرى المطبقة في العالم لكن هناك حاجة إلى تحسين التنسيق بين نشاطات تطبيق هذه المعاهدات. لقد تم توقيع مذكرات تفاهم مع سكرتاريا بعض المعاهدات الأخرى لكن التكامل في العمل لا يزال في طور النقاش والتعريف بعد ولم يتم تطبيقه.

إن قضايا التنوع البيولوجي تكون عادة متفرقة ونادرا ما ينظر إليها بأنها ترتبط بالسياسات المؤطرة الرئيسية ولكن في الكثير من الحالات تم التأكد من إهمال مسائل التنوع البيولوجي يمكن أن يؤدي إلى زيادة التعرض للأخطاء أو فرض نفقات إضافية في حال نشوء نزاعات بشرية ما في مناطق الحماية الطبيعية. هناك حاجة حقيقية إلى التطوير والتجريب عن طريق آليات تساهم في وضع التنوع البيولوجي ضمن الإطار الرئيسي للسياسات الدولية والوطنية. وتعترف معاهدة التنوع البيولوجي نفسها بالافتقار إلى مثل هذه الآليات والقليل فقط من الدول تمكنت من وضع التنوع البيولوجي ضمن سياساتها الرئيسية وربطتها بقطاعات أخرى من خلال خطط العمل الوطنية للتنوع البيولوجي.

هناك أيضا تساؤلات حول أسلوب الإدارة والمشاركة في حماية التنوع البيولوجي. ولا توفر معاهدة التنوع البيولوجي في الحقيقة اهتماما كبيرا لحقوق وأدوار وعلاقات ومسؤوليات المجتمعات المحلية في حماية والاستخدام المستدام للموارد البيولوجية. وعلى العكس من ذلك، ينظر أحيانا إلى التنوع البيولوجي بأنه كينونة يمكن أن تدار بمعزل عن غيرها كأن تبقى دائما نقية وطبيعية مهما كان الثمن وبالتالي يتم تجاهل اعتماد المجتمعات المحلية على هذا التنوع البيولوجي بهدف حمايته بشكل تام. ونتيجة لذلك فقد تسببت حماية التنوع البيولوجي أحيانا في تدمير أساليب معيشة المجتمعات المحلية. إن طرق إدماج حقوق ومصالح المجتمعات المحلية في معاهدة التنوع البيولوجي وعمليات تطبيقها يجب أن ينظر إليه باهتمام من قبل المعاهدة وفي مراحل متابعة قمة ريو. وهذا قد يتضمن تطوير نماذج إدارية للحماية تجتمع فيه المجتمعات المحلية والمنظمات غير الحكومية

٤ تركيز الجهود على تفكيك التعقيد المرتبط بأهداف نقل التقنية والوصول إلى الاستفادة من منافع الموارد البيولوجية.
الاستثمار في نشاطات التوعية وبناء القدرات في الشمال والجنوب.

والقطاع الخاص في مشاريع ومبادرات مشتركة مع الحكومة أو عن طريق التفكير الجاد في حماية التنوع البيولوجي الموجود أيضا خارج مناطق الحماية.
وفي النهاية فإن تبادل المعلومات العلمية والتقنية ما بين الدول خاصة ما بين الشمال والجنوب وكذلك الجنوب والجنوب كان أحد أهم أهداف معاهدة التنوع البيولوجي، لكن التقدم على هذه الجبهة كان بعيدا عما هو مرضي، فهل يمكن لقمة جوهانسبرج أن تساهم في قيادتنا نحو حالة يمكن فيها أن تكون الحلول للكثير من مشاكلنا الكبيرة أسهل للايجاد؟

التحديات الرئيسية

٤ تطوير الآليات والأدوات التي سوف تساعد في تأطير أهداف التنوع البيولوجي في السياسات القطاعية بشكل أكثر فعالية.
٤ اتخاذ خطوات نحو تقوية التكامل بين معاهدة التنوع البيولوجي والكثير من الآليات العالمية والمعاهدات ذات العلاقة.